

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل / كلية تكنولوجيا المعلومات

عنوان المحاضرة

# خصائص الشعر العربي

## عبر العصور الأدبية

اسم المادة

### اللغة العربية

كلية تكنولوجيا المعلومات

جامعة بابل

إعداد:

د. علي قيس حمزة الخفاجي

## خصائص الشعر العربي عبر العصور الأدبية

يمكن تعريف الشعر بأنه كلامٌ يحملُ معاني لغويةً تؤثرُ على الإنسان عند قراءته أو سماعه، ويعتمدُ على استعمال موسيقى خاصّةٍ به يُطلقُ عليها مُسمّى الموسيقى الشعريّة.

ولكي نفهم طبيعة التطور الذي يحصل في الشعر العربي في أي عصر من العصور التي مر بها؛ لا بد من هذه اللمحة السريعة لتاريخ الشعر العربي.

### ١- العصر الجاهلي (عصر ما قبل الإسلام):

قد يتبادر إلى الأذهان أن العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة، ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتسعون في الزمن به هذا الاتساع، إذ لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية، بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية، وقد لاحظ الجاحظ ذلك بوضوح إذ قال: (( أما الشعر (العربي) فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حُجر ومهلل بن ربيعة.. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام- خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام))، وهي الحقبة التي تكاملت للغة العربية خصائصها، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي، فمن الأمور التي لا ريب فيها أن المراحل التي قطعها الشعر العربي حتى استوى في صورته

الجاهلية غامضة، فليس بين أيدينا أشعار تصوّر أطواره الأولى؛ إنما بين أيدينا هذه الصورة التامة لقصائده بتقاليدها الفنية المعقدة في الوزن والقافية وفي المعاني والموضوعات وفي الأساليب والصياغات المحكمة.

وتميز شعر عصر ما قبل الإسلام بأن ألفاظه مالت إلى الخشونة والفخامة أكثر من ميلها إلى الرقة والعذوبة، أما معانيه فكانت صادقة وواضحة تكاد تخلو من المبالغات الممقوتة، فهي نسخة من واقع البيئة الصحراوية التي يعيشها الشاعر، كما تميز بالإطالة والاستطراد فلا يكتفي الشاعر بموضوع واحد؛ وإنما تعددت موضوعات القصيدة الواحدة فالشاعر يبدأ قصيدته بالوقوف على الأطلال ثم ينتقل إلى وصف الناقة أو الفرس، ويخلص بعد ذلك إلى غرضه المقصود من فخر أو حماسة أو مدح أو هجاء.

ومن شعراء العصر الجاهلي: امرؤ القيس وعنترة بن شداد العبسي ولبيد بن ربيعة وعمرو بن كلثوم وزهير بن أبي سلمى و...

ومثال الشعر الجاهلي: ما قاله امرؤ القيس في وصف الفرس:

وقد أعتدي والطيرُ في وكناتها      بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلِ

مكّر مفرّ مُقبلٍ مُديرٍ معاً      كجلمودِ صخرٍ حطّه السيلُ من علِ

## ٢- عصر صدر الإسلام:

مع ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربيّة، حافظ الشّعْرُ العربيُّ على خصائصه التي عهدا في عصر ما قبل الإسلام، ولكن أصبح الشعراء أكثر حذراً في كتابة القصيدة الشعريّة؛ إذ اختفت العبارات أو الألفاظ التي لا تتناسب مع قواعد الدّين الإسلاميّ، أما المعاني فقد كانت لنصرة الدين الجديد، ومحاربة أعداء الإسلام، والفخر بالنبي عليه السلام وهجاء قريش وتسجيل الغزوات.

ومن شعراء هذا العصر: كعب بن زهير وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة  
مثال شعر عصر صدر الإسلام: ما قاله كعب بن زهير في اعتذاره للرسول  
(ص):

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أُوْعِدَنِي      وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُورٌ  
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ      مَهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ

## ٣- العصر الأموي:

وما أن هذا العصر حتى ازدهر الشعر العربي وأصبحت ألفاظه أكثر رقة ولفافة مماشاةً لحالة العصر الجديد، والمظاهر السياسية، والدينية، والثقافية، كما اتسعت مواضيعه، وتطوّرت أساليبه، فقد كان من الطبيعي أن تتوسع وتزداد في هذا

العصر، خاصةً بعد الانكماش الذي لحقها في عصر صدر الإسلام الذي ركّز كل اهتمامه على الدعوة الإسلامية، فقد نظم الشعراء في هذا العصر في مواضيع كثيرة في الشعر منها ما كانت موجودة من قبل في الجاهلية والإسلام، فتوسّعوا فيها وأكثروا منها، ومنها ما هو جديد ابتكروه استناداً على ظروف الحياة ومتطلباتها كشعر النقائض: وهو شعر اختصّ بذكر التعصّب القبلي والتفاخر بالأحساب والأنساب وهذه أمور كان الإسلام قد حرّمها، وقد كان الهدف من ورائها التّنافس على منح الخلفاء والوزراء، منه ما حدث بين الشاعرين جرير وعبيد بن حصين الراعي، إذ دخل الراعي على جرير والفرزدق وكان أحدهما يهجو الآخر، فتحيّر الراعي للفرزدق، وكان الراعي من قبيلة بني نمير المعروفين بغناهم وقوتهم، وكانوا يفتخرون بهذا الاسم ويمدون به أصواتهم إذا سئلوا، إلا أن تدخل الراعي بين جرير والفرزدق كان قد أنهى هذا الافتخار، إذ قال جرير فيهم بسببه:

فغضّ الطرف إنك من نميرٍ      فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ولو وضعتُ شيوخُ بني نميرٍ      على الميزان ما عدلتُ ذبابا

فسقطوا فلم يرفعوا بعد ذلك رأساً، حتى أنهم إذا قيل لأحدهم من أنت؟ قال:

عامري.

ومن شعراء هذا العصر: جرير والفرزدق والأخطل.

#### ٤- العصر العباسي:

أما في العصر العباسي فقد تطورت الأساليب الشعرية بسبب اطلاع الشعراء على الثقافات الأجنبية التي وسّعت مداركهم، وزادت من معلوماتهم، إلى جانب تطوّر الحياة الحضارية، فنجد أن الشعراء قد مالوا إلى الأساليب السهلة والمفهومة المنسوجة من واقع الحياة، أما من ناحية الألفاظ فقد ابتعدوا عن الألفاظ الصعبة التي قلّ استعمالها أو هُجرت، واعتمدوا على المُحسنات البديعية، والتجديد في الألفاظ تبعاً لتطوّر الأمور؛ لذا جاء الأسلوب الشعري أقرب إلى الرقة في النسخ، والدقة في التصوير، وشيوع ألوان من الزخرفة اللفظية، والصنعة اللغوية، إضافة إلى النغمة الموسيقية التي تحرك المشاعر والوجدان.

ومن شعراء هذا العصر: أبو تمام والبحتري وأبو نواس والمتنبي

ومثال شعر العصر العباسي، قول المتنبي:

أنا الذي نظرت الأعمى إلى أدبي      وأسَمعتَ كَلِماتي من به صَممُ

أنا مَلء جُفوني عن شواردها      ويسهَرُ الخلقُ جَراها ويختصمُ

إذا نظرت ثيوب الليث بارزةً      فلا تظنن أن الليث مُبتسمُ

## ٥- العصور المظلمة (المتأخرة):

بعد انتهاء العصر العباسي دخلت البلاد العربية مرحلة مظلمة سُميت بالعصور المظلمة أو المتأخرة، عمّ فيها الفقر والجهل والأمراض، وعاش الناس ظروفًا صعبة في أكواخ ضيقة، والملوك كانوا عجمًا ولا يعرفون من الشعر واللغة العربية الشيء الكثير، وهو ما أدى إلى أن تعيش القصيدة العربية في هذه الأجواء بالاعتماد على القوالب التراثية، فضعف الشعر ولم يكن قوياً كما كان في العصر العباسي، فقلّت وضعفت المجالس الأدبية التي تهتم بالشعر والشعراء فضلاً عن أن الشعب كان آنذاك جاهلاً لا يعرف من أمور الشعر شيئاً، فنشأ الشعر البديعي الذي يخلو من المعنى، ويرتكز على عنصر التضخم والمبالغة والإيمان بالسكر والعرافات بدلاً من المنطق والعقلانية، والابتعاد عن الألفاظ الجزلة القوية.

ومن شعراء هذا العصر: صفي الدين الحلي والشاب الظريف وابن نجا الضرير وشمس الدين الكوفي والحموي.

ومثال شعر العصور المظلمة، قول ابن نجا الضرير يبيّن شكواه من الحبيب:

تذللْتُ لو أنّ التذللَ ينفع      وأفرطت في الشكوى لو انك تسمعُ

وأمسى خضوعي للحبيب سجيتي      وهل ناعني للحبّ أني أخضعُ

## ٦- العصر الحديث:

يبدأ هذا العصر بالحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م، التي احدثت ارتجاجاً قوياً على سطح الحياة العربية الراكدة في أعماقها، لم يسفر عن شعور عربي عام بالعجز وعن استثارة لمقاومة النتائج العسكرية للغزو المتوالي فحسب، بل هو أيضاً قد طرح على العرب مشكلة خمود طاقات الإبداع وتجلياته لديهم، كما طرح عليهم إشكالية اللحاق بركب التقدم العالمي تأسيساً على موروثهم الحضاري من جهة، وفي ظل الاستعمار ذاته من جهة أخرى، فالغزو لم يكن وقع آلة عسكرية وحسب بل كان يحمل معه أيضاً مفهومات النظام الحضاري الذي أنجز الآلة المتضاربة جذرياً مع القيم العربية السائدة آنذاك، مثلما كان يحمل معه أدوات عمل، وأساليب تصرف، ونهج سلوك، ووسائل ترفيه فني، وكلها غير مألوفة بالنسبة للعرب.

هذا الوضع الجديد انعكس إيجاباً على الشعر العربي بصورة عامة فقد اتسم الشعر العربي في هذا العصر بالعديد من الخصائص التي ميّزته عن شعر العصور الماضية؛ نظراً لاختلاف مبادئه، وظهور مفاهيم ومصطلحات جديدة على الساحة العربية السياسية، والاجتماعية، والدينية، والثقافية، والتي ظهرت نتيجة استفادة الشعر من المعطيات الحضارية الجديدة والتلقيح المتبادل بين القديم والجديد وبين الجديد العربي والوافد الغربي، ومن هذه الخصائص: استخدام اللغة العربية الفصحى



البسيطة ذات المعاني الواضحة والتي يسهل على الغالبية العظمى فهمها، أما من ناحية المعاني فقد لجأ الشعراء إلى الرمز في صياغة القصيدة والتأملات في الحياة والكون وخلق الإنسان والغاية من وجوده، والإكثار من استخدام القصص الأسطورية والخرافية التي رويت عبر التاريخ من سالف الأزمان، كما اتسمت القصيدة الحديثة بالوحدة المتناسكة للقصيدة؛ أي صياغة القصيدة صياغة وحدة عضوية واحدة متسلسلة؛ بحيث لو أسقط بيت واحد منها لاختل المعنى كله، كما لا يمكن تقديم بيت أو تأخير آخر.

ومن شعراء هذا العصر: محمود سامي البارودي وجبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي وحافظ إبراهيم والجواهري.

ومثال شعر العصر الحديث، أبيات حافظ إبراهيم التي يحث فيها على ضرورة إعداد المرأة الشرقية لتقوم بدورها في تربية جيل مستنير، إذ يقول:

مَنْ لي بتربية النساء فإنها في الشرق علّة ذلك الإخفاق

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

في الختام، نجد أن خصائص الشعر العربي تتغير تبعاً لخصائص العصر ذاته والمستجدات والأمور التي تطرأ عليه.